اتّجاهات التّفكير اللّساني بين تفعيل التّراث و المعاصرة

Trends of linguistic thinking, between the activation of inheritance and contemporary

وهيبـــــــة ملال*
جامعة باتنة 01 الحاج لخضر (الجزائر)
wahiba.melal@univ-batna.dz

تاريخ الإرسال: 2020/06/22 تاريخ القبول: 2020/11/24 تاريخ النّشر: 2020/12/01

ملخّـــص

إنّ منطلق الدراسة المعتمدة في هذا البحث، هو بيان لعلاقة المصطلح اللّساني بالتراث من جهة، و علاقته بالدرس الحديث من جهة أخرى. ونروم من خلال ذلك إلى الاهتمام بالمسألة المصطلحية التي تجمع بتن تضاربات عدّة، وذلك من خلال رفع الستار عن اتجاهات التفكير اللساني – هذا الأخير– الذي يتأرجح بتن المحافظة على الثروة اللغوية الأصيلة– بالرغم من أنّ إمكانية الإفادة المصطلحية من التراث تفتح لنا تضارب للمعاني و اختلاطها– وبتن الحداثة الغربية و التجديد في المادة اللغوية؛ أي الاعتماد على ترجمة المصطلحات اللسانيات الغربية أو تعريبها، وبتن المزاوجة بتن التراث والمصطلحات الحديثة.

الكلمات المفتاحية: المصطلح اللساني؛ اتجاهات التفكير اللساني؛ التراث؛ الحداثة؛ المزاوجة.

Abstract

The starting point of the study adopted in this research is a statement of the relationship of the linguistic term to heritage on the one hand, and its relation to the modern lesson on the other. In doing so, we aim to pay attention to the terminological issue that combines several conflicts, by unveiling the trends of linguistic thinking - the latter - oscillating between the preservation of authentic linguistic wealth, although the possibility of the terminology of heritage opens up a conflict of meaning and mixing between Western modernity and renewal in the language material i.e. reliance on the translation of Western linguistic terms or arabization, and the combination of heritage and modern terminology.

Keywords: Linguistic term; Trends of linguistic thinking; Heritage; Modernity; Marriage.

* المؤلّف المرسِـــل

مقدمـــــة:

تزخر اللّغة العربية منذ القديم بمصطلحات حضارية وعلمية، حيث تميّز العرب عن غيرهم من الأمم علميا و فكريا ومع تمازج العرب بغيرهم من الأعاجم زادت معارفهم خاصة بعد التطور العلمي وعودة البعثات العلمية المتأثرة بالنظريات الغربية الحديثة على مستوى الدّرس اللّساني. ما جعل العديد من المصطلحات الحديثة تجتاح الوطن العربي، وهذا ما تسبّب في حيرة الباحثين؛ بين الأخذ من مكانزهم التراثية أو الانفتاح على الوافد الاصطلاحي الجديد بعلاّته. على الرغم من أنّ الكثير منه ليس له مقابل في لغتنا العربية؛ ربما لغرابته عن البنية العربية أو لغرابته عن ثقافتنا. لنجد أن منهم من نكر فاعليّة المصطلح التراثي، ومنهم من آثره على غيره، أي أننا أمام ثلاث معادلات أساسية للتّفكير المصطلحي:

- **المعادلة الأولى: المصطلـــح = التّراث.**
- **المعادلة الثانية: الحضارة = رصيد مصطلحي كمّي وكيفيّ.**
- **المعادلة الثالثة: الحضارة = مثاقفة مفتوحـــــــــــة.**[1]

1 - المصطلح اللّساني بين التّراث و الدّرس اللّساني:

1.1 التّراث لغـــــة:

مِن «ورِث أباه، ومنه بكسر الراء، يرِثـــــه، كيَعِدُهُ ورثا ووِراثة، وإرثا ورثةً بكسر الكلّ وأورثه أبوه وورّثه: جعله من ورثته.»[2]

2.1 التّراث اصطلاحـــا:

يرى الشاهد البوشيخي أن التراث هو: «مجموع ما ورثناه من العلم عن الآباء ... من علوم شرعية أو إنسانية أو مادية. ثم يأتي من بعد ذلك ما بعد ذلك وما دون ذلك، ممّا تتبرّأ منه روح التّراث، وقيم التّراث، ولغة التراث، من دخيل قديم و غاز جديد...»[3] ومعنى هذا أن «تراثنا هو ذاتنا، إذ المستقبل غيب و الحاضر علميا لا وجود له فلم يبق إلا الماضي الذي هو مستودع الممتلكات بما لها، وما عليها. وان مفتاح التراث هو المصطلحات وإنما تؤتى البيوت من أبوابها وما عليها، وأبواب كل علم مصطلحاته.»[4] وبعث التراث «انبعاث اللفظ القديم ومحاكاة معناه العلمي الموروث بمعنى علم حديث يضاهيه، بتعبير آخر مجابهة الحاضر باللّجوء إلى الماضي للتّعبير بالحدود الاصطلاحية التّراثيّة عن المفاهيم الحديثة.»[5] أو بمعنى آخر هو «إحياء كلمة قديمة وإعطاؤها لمسمّ جديد و مفهوم وارد.»[6]

أمّا عن **ترجمة المصطلحات التراثية** من أصعب المشكلات في الحقل

اللّساني؛ لأن المصطلح التّراثي يتضمن إطارا ثقافيا ضمن النص الأصلي، ورغم هذا يعد إحياء التراث من آليات توليد المصطلح عامة، واللّساني خاصة إلى أنّ تباين آراء العلماء في هذه القضية زادت من تعقيد المسألة.

ونافلة القول، أننا إذا نظرنا إلى **المصطلح اللّساني في علاقته بالتّراث من جهة، وعلاقته بالدّرس الحديث**، من جهة أخـــــرى نجده ينهل «من ثلاثة روافد، التراث أي الاعتماد على مصطلحات وضعها القدماء بغية إطلاقها واستعمالها للدلالة على مصطلحات مستجدة ورافد ثان يستند إلى الحداثة الغربيّة؛ أي الاعتماد على ترجمة المصطلحات الغربية أو تعريبها أمّا الرّافد الثالث فيشمل المزاوجة بين التّراث والمصطلحات الحديثة وتشكل هذه الروافد مجتمعة وسائل لإثراء الرصيد الاصطلاحي للغة العربية.»[7] معنى هذا أن المصطلحيّة تجمع بين تضاربات وآراءها المتباينة بين الاتجاه التاريخي المحافظ والمتعصب للمصطلح التاريخي، الذي يؤمن بأن ليس بالإمكان أكثر ممّا كان ولا خروج عن وسائل إنماء اللغة العربية – الموثوق به- كالإحياء والاشتقاق، والمجاز، ناهيك عن أنّ النحو العربي يغنينا بلا شك عن الترجمة، والتعريب وسلبياتهما. وبين الاتّجاه الحداثي الذي يشجّع على التعريب والترجمة الحرفيّة، وبين الاتجاه الثالث المعتدل أو التوفيقي، والذي يدعوا إلى عدم الانسلاخ من التراث مع ضرورة مواكبة الرّكب الحضاري. عن طريق دراسة اللّغة بتطبيق مناهج حديثة.

وعموما إنّ «الاهتمام بالمسألة المصطلحية اليوم حيثما كان في أمتنا، قد ولّى وجهه كلية أو كاد شطر المصطلح الوافد، لا تشذّ أو لا تكاد تشذّ. عن ذلك مؤسسة أو فرد، من مجامع إلى جامعات، ومن معاهد ومراكز إلى لجن و منظّمات كلّها تتسابق بتنسيق أو بدون تنسيق 'متنافسة' في تلقي المصطلح الوافد ومن رجالها من يستقبله استقبال الفاتح المنقذ بقلبه، و قالبه معنى ومبنى، ومن رجالها من يلبسه الزيّ العربي كيفما كان لاعتبارات شتى دون أي مسّ لمفهومه. ومن رجالها - وهم القلّة النادرة – من يقفونه في حدود الأمة الحضارية للسّؤال، والتثبيت من الهوية وحسن النية، ودرجة النفع، وقد يتعقبونه في مختلف المجالات والتخصصـــات التي يقد يكون عشّش فيه، أو باض وفرخ بغير حق. فإن سويّت وضعيته ـــ كما يقولون ـــ فذاك. وإلاّ طهّر فكر الأمة منه.»[8] وهذا ما سمّاه الحمـــــــزاوي ـــ بغنائية الخطاب العلمي والحضاري العربي ـــ في العصور الحديثة «ومفادها رفض الخطاب الاصطلاحي الوافد مع الدّعوة إلى إحياء الخطاب الاصطلاحي التّراثي ليقوم مقامه و يكون بديلا عنه. ولا شك في أننا أمام نزعة تعويضية توحي بأن ما يوجد، وما سيوجد قد وجد...ولقد كان لذلك أثر واضح في المؤلفات العربية التي خصّصت للسانيات الجديدة. وهي حسب رأينا إلى ثلاثة

تيارات، أولها التيار التقليدي المعياري، الذي مثّله صبحي الصالح في كتابه 'دراسات في فقه اللغة'...أما التيار الثاني المتولد عن تلك الغنائية كذلك فهو التّيار التّوفيقي الذي مثّله محمد الانطاكي في كتابه 'الوجيز في فقه اللغة' الذي فضّل فيه طبعا مصطلح فقه اللّغة على علم اللّغة العام...التيّار الثّالث الذي ندعوه بالتمهيدي التحديثي ترجم المصطلح الغربي السوسيري ترجمة حرفية 'علم اللغة العام' واختص بالتمهيد لمقاييس العلم الجديد برؤى، وأفكار تراثية موجودة أو محتملة تبين جهود العرب القدامى في ميادين معينة، على سبيل الدقّة أو التقريب دعما للفكر العربي في هذه القضية، وربطا لصلة الرّحم بين التّراث والحداثة. ولقد سعى بعضهم إلى مقاربة العلم الجديد انطلاقا من أساسيّات علم اللّغة العام الحديث حسب طرق ومناهج تحتاج إلى عناية، ويمثل هذا التيّار رمضان عبد التواب في كتابه 'مدخل إلى علم اللّغة ومناهج البحث اللّغوي'... وقد سبق لنا أن عبّرنا عن رأينا في هذه الغنائية المصطلحيّة، ونتائجها العلميّة النسبيّة عند تطبيقها على معاجم متخصّصة حديثة عنيت بمصطلحات الحيوان والإحياء، والزراعة. واستخلصنا منها أن العلوم الحديثة تستوجب منّا أن ننزّلها منزلتها من مقاييسها ومقتضياتها حتى نوظف مصطلحنا توظيفا يناسب مقامه مثلما فعل التّراث بمصطلحه في زمانه. دون أن ينصهر بالضرورة في تراث سابق له.»[9] فإشكالية الأصالة والحداثة عند الحمزاوي تحديدا في حقيقتهـــــــــا و كما عبر عنها مسألة تخصُّص إذ أنّ المصطلح الحديث لابدّ له في الأخير أن يعود إلى منزلته العلمية الحديثة و الجديدة عن العـــرب.

أ. أنصـــــــار التراث:

يرى أصحاب هذا الاتّجاه أنّ العودة إلى التّراث في وضع المصطلحات هو السّلوك الأنسب لمواجهة هذا الكمّ الهائل من المصطلحات الوافدة، فلماذا نكلّف أنفسنا، وغيرنا في البحث لسُنون عن مصطلحات للمفاهيم المستجدة ، ونحن نملك أمّات الكتب التي تغنينا عن البحث والحيرة والوقوع في أخطاء لغوية؟ إذ «إنّ الذي وضع للمصطلح الفرنسي (كران) مقابلا هو ريح شديدة تهب فجأة وتكون مصحوبة بالمطر، يجهل أن الكلمة العربية المقابلة تماما لهذا المصطلح هو (ثائب)»[10]؛ أي أنّ من العبث «إضاعة الوقت في وضع مصطلحات جديدة لمفاهيم سبق أن عرفتها لغتنا، كما أنّ من الأفضل استخدام المصطلحات التي يتوفر عليها تراثنا من أجل استمرارية العربيّة، ووصل حاضرها بماضيها.»[11] ولتحقيق هذا الهدف لابد أن نعرف ما عندنا من مكانز، والتي تمثّل لنا مصدر قوة، وهوية قبل أن نستكشف ما عند الغرب إذ لابد من فهم تراثنا قبل فهم ما استحدث «وأوّل التجديد قتل القديم فَهمًا كما قيل»[12] وهذا

ينطبق على ما أشار إليه علي القاسمي حين تكلم عن إغفال التراث العربي، وضياع ثروته التي ــ يجهلها كثير منا ــ و إعادة استخدام مصطلحات هي في الأصل متواجدة في كتب التراث، والذي سيؤدي حتما إما إلى انقطاع بين الحضارة القديمة، والحديثة، أو إلى ازدواجيّة لغوية «فمن الأمثلة الطريفة في هذا الباب الكلمة الأجنبية Pyjamas التي يُرى أنها أثارت جدلا كبيرا في أحد المجامع اللغوية العربية، واقترحت لها ترجمات كثيرة لم يحظ أي منها بالقبول والرضا، وأخيرا وحسما للخلاف، أُبقي على اللفظ الأجنبي وسميت «بجامة»، وبعد ذلك بفترة وجيزة، عثر أحد أعضاء ذلك المجمع على كلمة عربية فصيحة كانت قد وردت في عدد من كتب التّراث ويستخدمها كثير من النّاس وهي كلمة 'منامة'؛ أي اللّباس الذي يلبس أثناء النوم، وهذه الكلمة أكثر دلالة و أسلس لفظا؛ لأنها تنتمي إلى نظام اللغة العربية الصّوتي والصّرفي، والدّلالي.»[13] ومن هذا المنطلق حذّر القاسميّ من الوقوع في الازدواجيّة اللفظيّة، أو بمعنى آخر الترجمة من العربية إلى العربية. «فتراثنا ثري بالمصطلحات، ومن عوامل ثراء التراث المصطلحي:

أ. العامل التاريخي: طول عمـــــــر العربية.

ب. العامل الجغــرافي: اتّساع رقعة العربية.

جـ. العامل العلمي: الريادة العلمية العربية.»[14]

ومن فوائد العــــودة إلى المصطلح التراثي:[15]

أ. ربط حاضـــــــــــــــر اللّغة بماضيها.

ب. توفير الجّهد في البحث عن مصطلحات جديدة.

جـ. سلامة المصطلح العــــربي التّراثي و سهولته.

د. تجنّب مخاطـــــــــر الاقتراض اللّغوي.

هـ. الإسهام في توحيــــد المصطلح العلمي العربي.

ونظرا لتعدّد فوائد الرّجوع إلى التّراث و مصطلحاته يرى ممدوح خسارة أن دراسة ما تحويه بطون الكتب اللّغوية القديمة «واستخراج ما فيها من مصطلحات قديمة، أو كلمات مرشّحة للاصطلاح هي مهمّة الباحث اللّغوي و من أولى واجباته، ولا شك في أن المعاجم اللّغوية العربية من أهم مكانز التراث اللغوي... وطالما أوصت المؤتمرات والنّدوات المعنية بقضية المصطلح العربي ولغة العلم بالعودة إلى كتب اللّغة واصطفاء ما فيها من مصطلحات ناجزة أو كلمات قابلة للدخول في حقل الاصطلاح. جاء في توصيات مؤتمر التعريب الثاني الذي عقد في الجزائر سنة 1973: لا بدّ من عمل

أوليّ منظم يتناول استقصاء المصطلحات القديمة.»[16]

وهذا الاتجاه المحافظ يدعو إلى:

- «المحافظة على الثروة اللغوية الأصيلة، المسموعة من قبائل عربية محدّدة، أو التي قاسمها اللّغويون القدماء على ما سمع.

- تحديد من يستشهد بكلامهم من الذين عاشوا في الحواضر حتى نهاية القرن الثاني الهجري، وفي البوادي حتى منتصف القرن الرابع. فلا يستشهـــــد المحافظون بشعر المُحدثين كبشار والمتنبي...

- استبعاد ما وضعه المولّدون، أو تكلموا به بعد عصر الاحتجاج سواء جرى على أقيسة كلام العرب أم لم يجر، حيث يعدّ ما خالف قياس كلام العرب وما سمع لحنا يجب تجنبه.

- عدم قبول المعرّب من الكلام الأعجمي الذي لم يدخل العربية في عصر الاحتجاج والدخيل الذي اقتضت الحياة المتطورة اقتراضه من اللغات الأجنبية والمحدَث الذي استعمله الكتّاب وشاع في البيئات العربية.

- التزام ترتيب متوارث في صنع المعاجم اللغوية... والمحافظـــــــة على أسلوب المعاجم القديمة في الشّرح. والتزام ما نقل من الثروة اللّغوية بغريبها، ونادرها...»[17]

ب. أنصار الحداثـــــة:

ذكرنا ــ من قبل ــ أنّ من طرق وضع المصطلح **'تفعيل التراث العربي'**، لكن هناك من يرى أن العودة إلى التراث خرق للتطوّر العلميّ، وأنّ البحث في الجذاذات القديمة والكتب الصفـــــراء لا فائدة منه. وتوظيف المصطلح التّراثي يُحدث فوضى بين القديم والحديث، واضطرابا مصطلحيا يتمثل أساسا في خلق ازدواجية لغوية. ناهيك عن أنّ مقابلة المصطلح القديم للمصطلح الحديث قد يحُول دون فهم المصطلح الحديث. لذا لا بد من إيقاف البكاء على الأطلال وإتباع الركب الحضاري الجديد، ومن أنصار هذا الاتجاه محمد حسين الذي يرى أنّ البحث على المصطلحات التراثية، وتوظيفها مرة أخرى للدّلالة على مفهوم حديث أمر لا جدوى منه و لربما التعريب أقصر طريقا إلى مواكبة الرّكب المصطلحي الحضاري.

وذكر أحمد الخطيب من جهة أخرى، أن نسبة إمكانية الإفادة المصطلحية من التراث تبقى محدودة رغم سعتها و أهميتها لأنه «لم يُفَد منها عمليا إلا قلّة من الروّاد الذين يتسنّى لهم إضافة إلى سعة الاطّلاع اللّغوي، سعة اطلاع في مادة التّراث التي لها تعلُّق باختصاصاتهم؛ لأن سعة الاطّلاع اللّغوي في أقصاها لا تتجاوز عادة مادة

المعجم العربي و المعاجم العربية للأسف...فالمعجميون العرب في محاولاتهم جمع اللّغة، حتى في أوسعها أهملوا جلّ ما اعتبروه منافيا لمفهوم الفصاحة الذي انطلقوا منه. فهم حصروا الفصحى زمانا بعصور معينة (ليس منها عصور الازدهار العلمي العربي) ومكانا بجماعات معينة (ليس منها جماعات العلم) فحرموا اللّغة من الكثير الكثير من المصطلحات التي ازدهرت بها علوم العربية ــ بحجة ــ أنها موّلدة أو أعجمية أو دخيلة أو معرّبة. ألا يفاجئكم مثلا أن لفظة (الجبر) بمعناها الرياضي، و التي أخذ العرب اسم ذلك العلم منها غير واردة بهذا المعنى ــ لا في 'لسان العرب' ولا في 'القاموس'، و لا حتى في 'تاج العروس' ــ مع أنّ كتاب «الجبر والمقابلة «لمحمد بن موسى الخوارزمي كان معروفا ومنتشرا أواسط القرن التاسع الميلادي ... وليس من السّهل على الكثرة الكاثرة من هؤلاء لأسباب متعدّدة للوصول إلى مبتغاهم في هذه المراجع...»[18]

بمعنى أنّ مقابلة المصطلح القديم للمصطلح الحديث عملية قد تنجح مع بعض المصطلحات التي عرفها العرب من قبل، وقد لا تنجح بل تؤدي إلى تشويه دلالة المصطلح الحديث، والقديم على حد السّواء، وتضارب للمعاني واختلاطها؛ لأن المصطلح القديم له مرجعيته و الحديث له بيئة وتخصّصه. والتوفيق بينهما مغالطة، وخلط في المرجعيات الثقافية لكلا الزمنين. وعلى هذا الأساس يقول الفهري: «وقد حاولنا ما استطعنا الابتعاد عن استعمال المصطلح المتوفّر القديم في مقابل المصطلح الدّاخل؛ لأن توظيف المصطلح القديم لنقل مفاهيم جديدة من شأنه أن يُفسد علينا تمثّل المفاهيم الواردة والمفاهيم المحلية على السواء. ولا يمكن إعادة تعريف المصطلح القديم و تخصيصه إذا كان موظّفا. لفظ)مبتدأ(مثلا موظف في النحو بمدلول عاملي محدد. وهو مفهوم صوري ولا يمكن أن نوظّفه لترجمة topic وهو مفهوم وظيفي. فهذا التوليد ربح على مستوى اللّفظ، ولكنّه يؤدي إلى اشتراك لفظي.»[19] ناهيك عن أنّنا لا نجزم على صحة المصطلحات التراثية كلّها لأنّه من المعروف أنّ بعضها قد وُضع على عُجالة، وبعضها الآخر قد نُقل عن العَجَم. وحتىّ اللّجوء إلى الوسائل التقليدية من اشتقاق ومجاز...باختلافها لوضع المصطلحات مقابل المفهوم الحديث مغامرة خلقت لنا اضطرابا في كمّها، وتباينا من حيث المنهج والمفهوم، إلى أنّ علوم العصر بطبيعة الحال تسبق المفاهيم القديمة بسنين «فالمصطلح المتميز لن يعجز عن منافسة المصطلح الأسبق إن توافرت فيه خصائص الدّلالة، و الدّقة و الرقّة.»[20]

كل هذا يعني أن «المصطلح اليوم، غدا ضرورة حضارية لا يمكن تجاهلها، ومواكبة هذا الرّكب الحضاري تفرض أن تنضمّ لغتنا إلى هذا الركب، وتنفتح عليه بمصطلحات تستوعب هذه المستجدّات المصطلح بحد ذاته ليس غاية. الغاية هي

امتلاك المعارف العلمية والثقافية والحضارية.»[21] فلابد من التجديد، 'التجديد في المادة اللغوية' معناه قبول المولّد، والمعرّب من المصطلحات بعد عصر الاحتجاج، وقياس ما لم يسمع عن العرب على ما سمع منهم. واستقبال مختلف المصطلحات العلميّة والفنيّة الجديدة لتطوير اللّغة العربية. فنحن «لا نحتاج إلى مصطلح عربي كالمُصدِئ، لمعرفة الأكسجين، أوالطاسل لمعرفة الإيثان، أوالشذّام لمعرفة الصوديوم أو المُقْرِمْ لمعرفة اليود...وهي مصطلحات خلقها الصّفاويّون المتحمسون عاطفيا لجلال اللغة الموهوم... فلم يأتوا بأكثر من ألفاظ ساذجة ضبابية. ربما عربية الجرس لكنها خاوية المعنى؛ وغالبا ما تكون مضلّلة بعيدة عن الدقّة العلميّة.»[22] وهنا نجد أن قضية التداول والاستعمال الفعلي للمصطلح، هي التي تحكم في أغلب الأحيان. وحقيقة هذا حال المصطلحات القديمة و مكانتها عند المحدثين. إضافة لذلك فبما أنّ المصطلحات طبيعتها النموّ والتطوّر فمن الضروري أن يكـــــــون لكل علم حديث مصطلحات حديثة تعبّر بدقّة عن مفاهيمه المستجدة فلا يعقل أن نعبّر عن أحدَث الاختراعات بمفهوم قديم.

ج. أنصار التوفيق بين (التراث و الحداثة):

منذ أن عرف العلماء العرب المفاهيم الغربية الحديثة، والمصطلح يتأرجح بين مُحافظ و مُجدد، إلاّ أنّ من هؤلاء من فضّل أخذ العصى من وسطها، موفّقا بين حبّ الهوية و الرّغبة في التّجديد، هذا في سبيل هدف واحد هو 'النهوض والارتقاء باللّغة العربية' جامعا بين ثلاثة روافد في كفّة واحدة: «التراث أي الاعتماد على مصطلحات وضعها القدماء بغية إطلاقها و استعمالها للدّلالة على مصطلحات مستجدّة، ورافد ثان يستند إلى الحداثة الغربية أي الاعتماد على ترجمة المصطلحات الغربية أو تعريبها ، أما الرّافد الثّالث فيشمل المزاوجة بين التراث والمصطلحات الحديثة. وتشكّل هذه الرّوافد مجتمعة وسائل لإثراء الرّصيد الاصطلاحي للّغة العربية.»[23]

وهذا الاتجاه يحاول التوفيق بين الأصالة، والمعاصرة بخُطى واضحة المعالم. يقول المتوكل: «لجأت إلى الاختيار الأول (الإبقاء على المصطلح القديم) في حالات كان فيها المصطلح القديم في المستوى المطلوب من الدقة و التحديد [...] واستخدمت في غير هذه الحالات مصطلحات حديثة للدّلالة على المفاهيم القديمة المقترضة، خاصة حين بدا لي أن المصطلح القديم لا يرقى إلى ما يتطلبه الضبط الاصطلاحي من دقة.»[24]

نستنتج ممّا سبق أنّ أحمد المتوكل مثلا قد حاول توظيف المصطلحات بفهم واستيعاب، وقد عزَّز معرفته بالتراث وعي عميق بالمصطلحيَّة الحديثة وما تطرحه من قضايا وإشكالات حرص على توظيفها في خدمـــــة العَربيَّة ببناء جسر تواصل بين

الماضي والحاضر.

ولمواجهة هذا «(الطوفان المفهومي) بعقلانية، وجب وضع خطة تقوم على:

- إحصاء ممتلكات الذّات.

- استيعاب ما لدى الآخر من علم، في مختلف التخصصات.

- الاقتراض الحضاري بعلم، من خارج الذّات، حسب حاجات الذّات، وذلك يعني فيما يعني صرف الجهد في:

- مجال النصّ التراثي أولا؛ لأنه مَجْلى الذات و خزّان الممتلكات .

- ثم مجال لغة النصّ ثانيا، ولا سيما الاصطلاحية؛ لأنها المدخل الوحيد للتمكّن من الفهم السّليم للمفاهيم الذي عليه ينبني التقويم السليم. فالاقتراض الحضاري السّليم.

- ثم مجال منهج: دراسة النصّ مقاما ومقالا ثالثا؛ لأنه الهادي إلى استنباط المدى اللّازم للحضور والشهود الحضاري، مما لا حاجة إلى اقتراض الأمة له من خارج الذّات.

- ثم مجال الوافد من خارج الذّات رائعا. واستيعابه عند أهله، بالتخصّص فيه بلغات أهله، ثم بتتبع آثاره فينا بالدرس العلمي لا بالخَرْص، لأن ذلك الذي يمنعنا من أن نظلم أو نُظلم، و يؤهلنا للشهادة على الناس بالحق... ولتحقيق ذلك لابد من:

- أن يفهموا المصطلح اللازم لفهم الذات و تقويم الذات.

- وينشئوا المصطلح المُسَمّي للمفاهيم التي أنتجتها الذات في تطويرها لنفسها و تفاعلها مع غير الذات.

- ويوظفوا المصطلح المنشأ والموفد معًا في خطاب الذات وغير الذات.»[25]

وعلى هذا الأساس، يجب أن تكون نظرتنا للتّراث نظرة علمية، جامعة بين التراث اللّغوي و اللّسانيات الغربية الحديثة لبناء جسر الحوار الثقافي، والمعرفي بين القديم، والحديث ولنستطيع فهم المصطلح التّراثي والمعاصر في سياقهما الذي نشأ فيها. و«ما دام أنّ التّراث هو مجموع الجهد الحضاري عند العرب بين القرن الهجري الأول والقرن العاشر كما يمثل نسقا ثقافيا ممتدا عبر تاريخ الأمة العربية يعبّر عن حضارتها وشخصيتها، ويعكس فترات إبداعها وتفوّقها، كما يعكس أيضا فترات خمولها، وتقهقرها فهو مرصد لحركة العقل العربي، وتطوّرها التاريخي في مجالات العلم، فتفعيل مصطلح ذلك المنتوج هو زرع الروح فيه...على أساس أن هذا الإخراج للمصطلح التّراثي من جموده لن يكون موفّقا ما لم ينبن على منهجية علمية شاملة للتعامل مع التراث عموما، والمصطلح خصوصا. ويستمد تفعيل المصطلح التراثي مشروعيته من كونه

يحتوينا باستمرار يته ولم تحدث أي قطيعة بيننا وبينه ولا سبيل إلى الانفكاك عن حقيقته التاريخية.»[26]

هذا يعني أن المذهب التوفيقـــــي لا يتحرّج الأخذ من التراث، لكنه يضع لنا شروطا ومعايير موضوعية وعلمية منها:[27]

* استقراءه استقراءً تاريخيا، وصفيا شاملا كاملا في جميع نصوصه، واختصاصاته و تصنيفه تصنيفا علميا حديثا لضبط ميادينه كمّا، وكيفا.

* تكوين مصطلحيين واصطلاحيين تراثيين متخصصين فيه للاستفادة منه بالتعاون مع الاختصاصيين في الميادين العلمية .

* إنشاء المكتبة المصطلحية التراثية العربية وتزويدها بالوسائل، والمعدّات الأساسية لتوظيف ذلك التراث و نشره لإثراء المعجم الاصطلاحي العربي و تطويره.

خاتمـــــــــة:

إنّ فوضى المصطلح وما نتج عنها من كثرة المترادفات سببه الأول الصّراع بين القدماء والمحدثين؛ أي دعاة المحافظين ودعاة التجديد. على هذا الأساس نجد الكثير من علماء المصطلح يدعون إلى وضع مؤلفات تاريخية لتجنب التكرار، وتكون خطوة نحو دراسة كل ما هو جديد. والحقيقة أنّ كِلا طرفي الجدال (الأصالة /المعاصرة) «قد بالغا في نظره وتصوره إذ اللّغة العربية فعلا لغة دقيقة لها قواعد علمية من الواجب حفظها، وإن كان لابد من تطوير اللّغة لمسايرة هذا العصر الحديث، كي لا تصبح لغة جامدة ميتة، لأن اللّغة ككل حي مثلما تصحّ فهي تمرض، ومثلما تكون مادّة للفهم تكون مادّة لسوء الفهم فلا بد إذن من أن ينحصر ذلك التطوير في حدود المعقول.»[28]

الإحـــــــالات:

(1) انظر: محمد رشاد الحمزاوي، المصطلحية العربية المعاصرة سبل تطويرها، وتوحيدها، اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب الرباط،ع 39، 1995م، ص: 113.

(2) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القامـــــــوس المحيط، تح أبو الوفاء نصر الهوريني، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط2، 2007م، ص: 204.

(3) شاهد البوشيخي، دراسات مصطلحية، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط1 ، 2012م، ص: 20.

(4) المرجـــــــع نفسه، ص: 18.

(5) يوسف وغليسي، المصطلح في الخطاب النقـــــــدي العربي الجديد، دار العربية للعلوم،

الجزائر، ط1، 2008م، ص: 85.

(6) عبد الحميد دباش، المصطلح اللغوي في المعاجـــــم الثنائية، مجلة التعريب المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، دمشق-سوريا، ع29، 2005م، ص: 74.

(7) مسعود شريط، ترجمة المصطلح اللساني إلى اللغـــة العربية: أزمة تمثل المفاهيـــــم أم موضة اختلاف؟ مجلة إشكالات، معهد الآداب واللغات بالمركز الجامعي لتمنغاست-الجزائر، ع12، مـــــــــــــــــاي2017م، ص: 104.

(8) شاهد البوشيخي، دراسات مصطلحية، ص: 41.

(9) محمد رشاد الحمزاوي، إشكالية المصطلح إشكاليات، مجلة العلوم الإنسانية، البحرين، ع2، صيـــــــــــــف 1999م، ص: 146 - 148.

(10) ممدوح محمد خسارة، المعاجم اللغوية وأهميتها في وضع المصطلحات، معجم لسان العرب أنموذجا، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج 78،ج3، 2003م، ص: 721.

(11) علي القاسمي، المصطلح الموحد، ومكانته في الوطن العربي، مجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب، الربـــــاط ع27، 1986م، ص: 83.

(12) شاهد البوشيخي، دراسات مصطلحية، ص: 21.

(13) علي القاسمي، علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت-لبنـــــــــــــان، ط1، 2008 م، ص: 202.

(14) المرجع السابق، علي القاسمي، علـــــــــم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، ص: 205 - 206.

(15) المرجع نفسه، ص: 207 - 208.

(16) ممدوح محمد خسارة، المعاجم اللغوية وأهميتها في وضع المصطلحات، معجم لسان العرب أنموذجا، ص: 709 - 710 (أنظر مؤتمر التعريب الثاني، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج49/1، ص: 188 - 190.

(17) عبد العزيز مطر، المعجم الوسيط بين المحافظة والتجديد، مجلة مجمع اللغة العربية، ج69، 1991م، ص: 97.

(18) أحمد شفيق الخطيب، منهجية بناء المصطلحات وتطبيقها، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مجلد (75)، ج3، 2000م، ص: 509 - 511.

(19) عبد القادر الفاسي الفهري ،المصطلح اللساني (معجم فرنسي- عربي)، مجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، ع 23، 1983م، ص: 145.

(20) أحمد شفيق الخطيب ،منهجية بناء المصطلحات و تطبيقها، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج (75)، ج3، 2000م، ص: 511 - 512.

(21) المرجع نفسه، ص: 505.

(22) المرجع نفسه، ص: 526.

(23) مسعود شريط، ترجمة المصطلح اللساني إلى اللغة العربية؛ أزمة تمثل المفاهيم أم موضة

اختلاف؟، ص: 104.

(24) أحمد المتوكل، استثمار المصطلح التراثي في اللسانيات الحديثة 'اللسانيات الوظيفية نموذجا'، المناظـــــــــــرة ع6، 1993م، ص: 49 - 56.

(25) شاهد البوشيخي، دراسات مصطلحية، ص: 41 - 43.

(26) بلقاسم منصوري، التعامـــــــــل مع المصطلح التراثي بين المنهجية والاعتباطية، ملتقى وطني حول المصطلح والمصطلحية (3-2) ديسمبر، مخبر الدراسات اللغوية في الجزائر، تيزي-وزو، ج2، 2014م، ص: 4.

(27) محمد رشاد الحمزاوي، المصطلحية العربية المعاصرة سبل تطويرها و توحيدها، اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، ع39، 1995م، ص: 120 - 121.

(28) بوعبد الله لعبيدي، مدخل إلى علم المصطلح والمصطلحية، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر، 2011م، ص: 37.